مجلة العدوي للسانيات العرفية و تعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
المجلد:02 العدد: 02 (نوفمبر 2022) ص 41 / 55

نظريّة الأفضيّة الذهنيّة وأثرها على اللّسانيّات العرفنيّة

Mental space theory and its impact on cognitive linguistics

يحي صلاح الدين
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
Salahyahai299@gmail.com

قداش لامية*
جامعة أمحمد بوقرة بومردا س (الجزائر)
l.keddache@univ-boumerdes.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/05/04
تاريخ القبول:
2022/06/13

الكلمات المفتاحية:
- ✓ اللّسانيّات العرفنيّة:
- ✓ نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة: الفضاء في اللّغة؛

الملخص:

يتناول هذا البحث أهمّ نظريّة من النظريات اللّسانيّة العر فنية، وبصفة خاصّة نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة لرائدها اللّسانيّ الفرنسي جيل فوكونياي G.Fauconnier هذا الأنموذج اللّساني الّذي يمثل حقلا عرفنيا جديدا ظهر في فرنسا، وقد عرف انتشارا واسعا في إطار ما يعرف بالنظريّة العرفنيّة الّتي عرفت رواجا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة انفردت بخصوصيّة التّطوّر في مبادئها ومقارباتها العرفنية بدءا من مؤسسها جيل فوكونياي G.Fauconnier إلى طلبته ومن أبرز طلبته الّذين قاموا بتطوير نظريّة الأفضيّة ما قدّمه اللّساني البلجيكي كلود فاندلواز(C. Vandeloise) في كتابه (الفضاء في اللّغة الفرنسيّة) نموذجا جيدا؛ وهو **الأنموذج الوظيفي اللّسانيّ العرفاني** (المعرفي)الّذي اقترحه كلود فاندلواز وأهميّته تكمن في المقاربة الهندسيّة للفضاء اللّغويّ.

وهدف هذا البحث لعرض المقاربة الهندسيّة والطبولوجيّة والمنطقيّة واللّسانيّة العرفنية الّتي تناولت الفضاء في اللّغة، وسعى البحث لعرض المفاهيم الهندسيّة والأدوات والوسائل الفضائيّة المحضة، مثل مفاهيم المسافة، والاتجاه، والبعد، وغيرها من المفاهيم الّتي حدّدها الأنموذج الوظيفي اللّسانيّ العرفنيّ.

Article info

Received
04/ 05/2022.
Accepted
13/06/2022

Abstract :

This research deals with the most important theories of cognitive linguistics, in particular the mental continuity theory of its French pioneer Gilles Fauconnier. This linguistic model, which represents a new cognitive

* المؤلف المرسل

field that emerged in France, has been widely spread within the framework of what is known as the cognitive theory, which became very popular in The United States of America, and the mental space theory was unique in the development of its principles and mystical approaches, starting from its founder Gilles Fauconnier to his students. Among the most prominent contributions of his students who developed the theory of space is what the Belgian linguist Claude Vandeloise presented in his book (Space in the French Language) as a good example. The cognitive linguistic functional model proposed by Claude Vandelois, and its importance lies in the engineering approach to linguistic space.

The aim of this research is to present the geometrical, topological, logical, and linguistic approach that dealt with space in language. The research seeks to present the engineering concepts, tools, and purely spatial means, such as the concepts of distance, direction, distance, and other concepts identified by the cognitive functional linguistic model.

Keywords:
cognitive linguistics
mental space theory
space in language
✓

مقدّمة:

اللّسانيّات العرفانيّة من أكثر الحقول المعرفيّة حضورا ونشاطا في العقود الأخيرة فاللّسانيّات العرفانيّة مبحث منفتح على سائر المباحث من علوم الأعصاب والذّكاء الاصطناعي والأنثروبولوجيا وعلم النّفس المعرفي وهو توجه يهتم "بالنظر في طبيعة العمليات الذّهنيّة في اكتساب المعارف واللّغة وطرائق استعمالها وتهدف هذه البحوث اللّسانيّة العرفانيّة إلى الكشف عن طبيعة البنيّة الذّهنيّة وأوجه انتظامها وذلك من خلال تحليل الاستراتيجيّات العرفانيّة آلتي يعتمدها الإنسان في تفكيره ونمط تخزينه للمعلومات وطريقة معالجته للّغة إنتاجا وفهما"[1] وتستمد العلاقات التفاعليّة بين أنماط التفكير اللّغويّ والتحليل اللّسانيّ العرفنيّ إلى الاتجاه العرفني في البحث اللّسانيّ؛ حيث يتم دراسة الإدراك البشري مع الأبنية اللّغويّة ومستوياتها المتعدّدة فهي "الدّراسة العلميّة المنتظمة للألسن البشريّة من خلال الوحدات والترتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليات الإدراكيّة cognitive processes وبصفة خاصة : التبويب، التشكيل التمثيل والمنطق"[2] والجامع بين المقاربات العرفانيّة والمقاربات اللّسانيّة هو ذلك التشكّل الناتج عن البناء الذّهنيّ؛ حيث يعتبر انعكاسا للمقاربة العرفانيّة اللّسانيّة للّغة وأبنيتها ومستوياتها المختلفة.

1- اللّسانيّات العرفانيّة والوحدات اللّغويّة والعمليّات التّصوّريّة:

1-1-اللّسانيّات العرفانيّة Cognitive Linguistic:

اللّسانيّات العرفانيّة نظريّة معاصرة تسعى لتفسير العلاقات القائمة بين الذّهن والأبنيّة اللّغويّة كلّها من المستوى الصّوتيّ إلى المستوى الصّرفيّ إلى البناء النّحويّ فالبناء الدّلالي؛ حيث "بناء المعنى يُعادل بناء التّصوّر وهو تلك العمليّة الديناميّة الّتي تشتغل فيها الوحدات اللّغويّة كحادثات لمجموعة من العمليّات التّصوّريّة وتجنيد المعارف الخلفيّة "[3] وتحديد المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة يقوم على مبدإ تفسير سيرورات الأبنيّة اللّغويّة الّتي تشتغل فيها المستويات اللّسانيّة على مجموعة من العمليات التّصوّريّة، وفي هذا الإطار تجمع اللّسانيّات العرفانيّة مجموعة من

النّظريّات العرفانيّة منها على سبيل التمثيل لا الاختصار نظريّة الاستعارات التّصوّريّة ونظريّة الدّلالة والقيد العرفانيّ ونظريّة الدّلالة التّصوريّة ونظريّة النّحو العرفانيّ ونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة ونظريّة دلالة الأطر والفهم الموحّد ونظريّة دلالة الطّراز... إلخ[4].

واللّسانيّات العرفانيّة "اتجاه في البحث متداخل التّخصصّات تطوّر في نهاية الخمسينات في الولايات المتحدة الأمريكيّة ويعنى بدراسة العمليّات الذّهنيّة لاكتساب المعارف واللّغة واستخدامها وعلى خلاف النزعة السلوكيّة المركزة على السلوك القابل للملاحظة والسيرورات القائمة على المثير والاستجابة يؤدي السلوك في اللّسانيّات العرفانيّة دور الواسطة بقدر دعمه رؤى متعمقة للسيرورات العرفانيّة والهدف من الدراسة العرفانيّة هو البحث في البنية والتنظيم العرفنيين أو الذّهنيين من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التفكير وتخزين المعلومات وفهم اللّغة وإنتاجها"[5] وتضم اللّسانيّات العرفانيّة مُقاربات أكاديميّة عديدة تجمع مجموعة من العلوم العرفانيّة المعاصرة وعلى رأسها علم النّفس العرفانيّ والعلم العرفاني والعلوم العرفانيّة وعلم الدّلالة العرفانيّ والأنتروبولوجيا واللّسانيّات واللّسانيّات الحاسوبيّة واللّسانيّات العصبيّة وعلم الأعصاب... إلخ.

واللّسانيّات العرفانيّة "فرع قائم بمنهجه التحليلي ضمن مجموعة الدراسات الّتي تتناول الاشتغال الذّهنيّ وسيروراته العامّة، متّخذة من اللّغة قاعدة، بوصفها قدرة ذهنيّة مركزيّة في محيط الإدراك، وما يرتبط بها من علامات وترميز وتشفير وتعبير وتفكير"[6] ولم يتشكل البحث في اللّغة والذّهن إلاّ من خلال ما قدمته اللّسانيّات العرفانيّة من نظريّات عرفانيّة متعدّدة؛ حيث "مثلت اللّغة ميدانا أساسيا للبحث في العرفان بوصفها تمثل أهم المظاهر الّتي يمكن أن تكشف عن طبيعة الذّكاء البشري"[7] ولم تقترن المباحث اللّغويّة بالمباحث العرفانيّة إلاّ من خلال تفسير التّصوّرات الذّهنيّة الّتي تكشفها الوحدات اللّسانيّة الّتي تكشف عن طبيعة تكوّن الأبنيّة اللّغويّة في الذّهن والّتي تربط مجموعة الوحدات اللّغويّة بالعمليات التّصوّريّة وكما "ترتبط اللّغة بالنشاط الفكريّ للإنسان الّذي يحيلنا مباشرة إلى المعرفة الّتي تشير إلى مختلف الأفكار الّتي تتكون في الرأس البشري كوعي نظريّ نتيجة محاولاته المتكرّرة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به، ولا ينفصل ذلك عن احتكاكه بالعالم المادّي وبالإطار الاجتماعي الّذي يعيش فيه"[8] ويتم تفسير اللّغة والوحدات اللّغويّة باعتبارها ناتج تصوّرات ذهنيّة تركيبيّة من مجموعة الابنيّة الذّهنيّة في الدماغ، واللّغة عبارة عن عمليّات تصوّريّة تتركب في الذّهن فإنّ اللّغة وفق المقاربة الشكلية "نظام مستقل عن بقية الأنظمة العرفانيّة، وما هو إلا نظام رمزيّ متعال عن الواقع والتجربة، أما في المقاربة العرفانيّة فاللّغة نظام محايث للتجربة وله فيها الخلفيات والأسس الّتي يستمد منها دلالاته ومعانيه"[9] واللّغة في اللّسانيّات العرفانيّة نظام عرفانيّ لا يجزأ عن النّظام العرفانيّ للذّهن وهي انعكاس للعمليات الذّهنيّة جميعا منها عمليّة الفهم والإفهام والشّعور واللاشعور، والفكر والتفكير **والإدراك والذاكرة والتذكر والتّعلم والتعليم... إلخ).**

1-2-الوحدات اللّغويّة والعمليّات التّصوّريّة:

لا تخرج الوحدات اللّغويّة عن كونّها مُقاربات لسانيّة عرفانيّة مُركّبة وشاملة سعت المقاربات اللّغويّة القديمة لتفسيرها لكن مع اختلاف وجهة النّظر بين الدارسين والباحثين الّذين فصلوا الوحدات اللّغويّة عن بعضها بعض ممّا أحدث شرخا في المقاربة اللّسانيّة، وبظهور نظريّة اللّسانيّات العرفانيّة أصبحت الوحدات اللّغويّة تشكّل كلاً مُتكاملا بين الوحدة النّحويّة والدّلاليّة والصّوتيّة والصّرفيّة " فإن الشرخ الّذي أحدثه التوليديون الدّلاليون بانفصالهم عن النّظريّة المعيارية ازداد اتساعا بظهور نظريات عرفانيّة أخرى لا تقوم على مفهوم مركزيّة التّركيب

الاعرابيّ في الربط بين اللفّظ والمعنى، بل تقوم على اعتبار الدّلالة أو التّصوّرات والعمليّات الذّهنيّة أساس الأبنيّة اللفظيّة سواء أكانت صوتيّة أو صرفيّة معجميّة أم كانت إعرابية أو تداوليّة"[10] وقد حاولت اللّسانيّات العرفانيّة أن تجمع شتات ما فرقته المقاربات اللّغويّة القديمة والحديثة الّتي فصلت بين النّحو والدّلالة وبين المبحث الصّرفيّ والمبحث الصّوتيّ والّتي مدت الأولويّة للوحدة النّحويّة على اعتبار الوحدات اللّغويّة، وقد تمثل هذا الأساس في اهمّ نظريّة من النظريّات العرفانيّة في نظريّة النّحو العرفانيّ[11].

وقد سعت نظريّة النّحو العرفانيّ لمقاربة الأبنيّة اللّغويّة ووحداتها باعتبارها عمليات تصوّريّة ذهنيّة تفسر أنماط الصورة الذّهنيّة في الدّماغ ومن حيث تغيراتها؛ فإنّ الصورة الذّهنية هي أساس اشتغال الأبنيّة اللّفظيّة اللّغويّة بمختلف مستوياتها وقد تأسس مفهوم التّصوّرات والعمليات الذّهنيّة عند العرفنيّين بسبب تغير موقع اهتمام دارس اللّغة من دراسة القواعد والقوانين النّحويّة من اعتبار النّحو أسّ علم اللّغة إلى البحث في قوانين اشتغال العمليّات الذّهنيّة"[12] وليس النّحو في نظر العرفنيين لمعرفة النسبة بين صيغة النّظم وصورة المعنى أو التوصّل بإحداهما إلى الأخرى قط، بل تجاوز هذه الصورة النمطيّة للنّحو باعتباره قوانين وقوعد معياريّة إلى آليات اشتغال العمليّات الذّهنيّة في الدّماغ؛ فإن نظم الكلام لم ينتظم بقواعد وقوانين النّحو دون انتظام آليات اشتغال العمليات الذّهنيّة وعلى رأسها التّصوّرات الذّهنيّة السابقة للتّراكيب القاعديّة والقوانين النّحويّة للّغة؛ وهي العلاقة بين النّحو وفهم النّحو وتصوّر المعنى العرفنيّ.

واللّغة باعتبارها نمط متكامل من المقاربات اللّغويّة فهي بنيّة تصوّريّة شاملة كلّيّة جامعة والنّحو والصّرف والصّوت والدّلالة بنيات تصوّريّة جزئيّة من البنيّة التّصوّريّة الكلّيّة (اللّغة)؛ حيث "لا يمكن البحث عن المعرفة الممكنة بمنأى عن فهم الظّاهرة اللّغويّة وسيروراتها العرفانيّة وتداخلها القوي المتشابك مع مختلف العلوم، فلا يمكن دراسة المفهوم الأكبر(العقل) من دون بحث اللّغة، ولذلك فإنّ العلوم العرفانيّة تدرس الإدراك البشري بوصفه ظاهرة اتصاليّة عابرة للتخصّصات من أجل الوصول إلى مقاربة معاصرة تهدف إلى الفهم والتفسير"[13] فالمعرفة اللّغويّة هي بنية تصورية بالأساس.

يمكن رصد أربعة مجالات مُهمّة تمثل أركان هذه المقاربة العرفانيّة[14]:

-التّركيب والبناء في الذّهن والمعرفة، وعمليّات التفاعل بينهما.

-النماذج التمثيليّة للمعرفة.

-موارد المعرفة ومصادرها.

-الأجهزة المولّدة للمعرفة.

يبحث ميدان اللّسانيّات العرفنيّة في العديد من القضايا أهمها ما يلي[15]:

-البحث عن نماذج تمثيليّة للقواعد المعرفية والفضاءات الذّهنيّة.

-البحث في نماذج الاكتساب اللّغويّ.

-البحث في الأسس العصبيّة للّغة البشريّة.

-البحث في بناء الأدلة والمقاييس المعتبرة للمعرفة اللّسانيّة.

"اللّغة الإنسانيّة ليست قدرة عرفنية منفصلة عن غيرها من القدرات بل إنها تمثل مركز شبكة عرفنية عصبية لا حدود لها"[16] وتتمركز المقاربة العرفانيّة على ارتباط اللّغة بغيرها من العلوم الإنسانيّة والعلوم العلميّة المحايثة للّغة باعتبار اللّغة مادّة وحدة هذه العلوم الّتي تكتسب وتؤخذ وتنزع بفضل اللّغة واللّغات جميعا.

1-3-اللّغة والأنظمة اللّغويّة والأنظمة العرفانيّة:

يعرف ليورنارد طالمي اللّغة بأنّها "النّظام المُبَنْيِن للمقولات التّصوّريّة وهي تشكل نظاما عرفنيا مزدوجا: نظاما معجميا ونظاما نحويا أما النّظام المعجمي فيمثل القسم المفتوح للّغة الّذي يضم أشكالا لسانيّة عدّة مثل المشتقات الإسميّة والفعليّة، وأما النّظام النّحويّ فيمثل القسم المغلق الّذي يضم أشكالا لسانيّة عسيرة الاشتقاق مثل الحروف ويكون التّمثيل العرفاني مختلفا بين النظامين إذ تحدّد العناصر النّحويّة القسط الأوفر من بنية التمثيل العرفانيّ للملفوظ وتحدّد العناصر المعجميّة القسط الأوفر من المضمون التّصوريّ لذلك التمثيل"[17] والنظام النّحويّ جزء من الأنظمة الأربعة للغة وهو أعقد نظام تشتغل عليه بنيّة التمثيل العرفانيّ؛ من حيث تلك العمليات التّصوّريّة الذّهنيّة السابقة للتّراكيب القاعديّة والقوانين النّحويّة للّغة؛ وهي العلاقة بين النّحو وفهم النّحو وتصوّر المعنى العرفانيّ، وأمّا النّظام المعجمي فهو جزء من الأنظمة اللّغويّة الأربعة الأيسر تصوّرا؛ من حيث فهم المضمون التّصوّريّ لذلك التمثيل العرفانيّ الخارج عن حدّ المعايير النّحويّة وتجلياتها في الأبنيّة اللّغويّة إلى تجلياتها التّصوّريّة المعنويّة من جهة الألفاظ. "وتنوع الحروف في العربيّة إنما كان لغرض عرفانيّ ذهنيّ مُهمّ هو الانجاز والاختصار، وهو النيابة عن الأفعال ليفيد فائدتها مع إيجاز اللّفظ وهذا الانجاز هو آليّة ذهنيّة يقوم بها الدّماغ على الدوام"[18]

إنّ اللّسانيّين الإدراكيّين أو العرفانيّين يشاركون المنهج الوظيفي في التمييز بين مستويات التحليل اللّساني ويرون أن الدراسة التركيبيّة لا يمكن أن تكون ذات فائدة بمعزل عن مستوى التحليل الدّلالي والتحليل التّداولي، والتمييز الآخر الّذي لا يقبل به العر فنيون هو التمييز الّذي أتى به دي سوسير بين اللسانيّات السنكرونيّة واللّسانيّات الدايكرونيّة (التاريخيّة)، فالتراكيب النّحويّة بنظرهم قد أصبحت على ما هي عليه بفعل فترات طويلة من الاستعمال، وعمليّات التغيير في اللّغة بصورة واضحة ولها علاقة بفهم الاستعمال الحالي للغة"[19] والشرخ الّذي أحدثه كتاب مُحاضرات في اللّسانيّات العامّة الّذي ألفه شارل بالي وألبير سيشهاي بفصل المحتوى النّحويّ وعزله عن باقي المستويات اللّسانيّة منها المستوى الصّوتي والصرفي والدّلالي بصفة خاصّة؛ إذ لا يمكن فهم المعايير والقواعد والقوانين النّحويّة إلاّ بهذه المستويات الأربعة، ولا يمكن أن تكون المقاربة النّحويّة ذات فائدة ما لم تكن مقترنة بالمقاربة الدّلاليّة؛ وهكذا تدعو نظريّة النّحو العرفاني إلى اعتبار الدّلالة العرفانيّة محور دوران مستويات اللّغة الأربعة دون اهمال مستوى من هذه المستويات والّتي يمكن أن تشتغل بمعزل عن المستوى الأخر دون الانفصال المطلق تبتعد في آن وتقترب في آن آخر.

تقدم اللّسانيّات العرفنيّة ثلاث فرضيّات يسترشد بها الإطار اللّسانيّ الإدراكي في التعامل مع اللّغة هي[20]:

أ-اللّغة ليست قدرة إدراكيّة مستقلة.

ب-النّحو هو عمليّة خلق للمفاهيم، ممّا يعني أن اللّغة رمزيّة بتطبيقها.

ج-المعرفة باللّغة تأتي من الاستعمال اللّغوي.

تركّز اللّسانيّات العرفانيّة "على التمثيلات الذّهنيّة والسيرورات العرفانيّة في الدّماغ، وأنّها بدأت مؤخّرا في النظر إلى الخطاب والفرضيّة الثّالثة توفّر فرصة كبيرة للسانيّات عموما كي تدرس الطبيعة الاجتماعيّة التفاعليّة للّغة من

المنظور التّداوليّ العرفانيّ/الذّهنيّ وذلك لأنّ الاستعمال هو تفاعل اجتماعي، والمتكلّمون يستعملون خبراتهم من أجل توصيل تلك الخبرات الى الآخرين "[21] وتشغل النظريّة العرفانيّة حيزا كبيرا من الدراسات التّداوليّة العرفانيّة الّتي تسعى لدراسة اللّغات أثناء الاستعمال مع تمثيلاتها الذّهنيّة وعملياتها الاستدلاليّة العرفانيّة ليمثل الاستدلال العرفاني أهمّ خاصيّة من خصائص التّداوليّة العرفانيّة وأهمّ خاصيّة من خصائص الطبيعة الاجتماعيّة التفاعليّة للغة؛ لأنّ الاستعمال اللّغويّ هو تفاعل عرفاني للغة "فاللّغة في جوهرها الكامن عمليّة عرفانيّة شديدة التعقيد تؤثر بقوة على عمل دماغ شديد التطوّر والتعقيد والذكاء هو الدماغ البشري[22] وجوهر التّواصل الإنساني اللّغة باعتبارها بنية عرفنية وتفاعل عرفاني بين الأفراد إذ تأخذ اللّغة نماذج مختلفة من الخطابات المتنوعة والمختلفة حسب الاستعمالات الّتي يسطرها هؤلاء الأفراد في خطاباتهم كالخطاب العلمي والخطاب الأدبي والخطاب السياسي والخطاب الدّيني وغيرها من الخطابات... إلخ.

واللّغة تضم مجموعة من الأنساق العرفانيّة المضمرة من المقولات "واللّغة تنمو داخل الدّماغ كأيّ سلوك آخر تماما وليس الأمر أنك تتعلم مجموعة من القواعد من بعدها تتمكن من إتقان اللّغة (...) فلولا البنية العصبيّة المؤسسة داخل المخ ما أمكن أبدا تطوير الباراميترات ولا تعلم الأنساق المختلفة "[23] وليست اللّغة أنماط تواصليّة جاهزة وليست هي قوالب تواصليّة جاهزة تستمد من وحدات اللّغة كوحدة الصّوتيّة والوحدة التّركيبيّة والوحدة الصّرفيّة والوحدة الدّلاليّة بقدر ما هي أنماط وقوالب عرفنية مجردّة.

و"لم تعد اللّغة مجرد مجموعة من الأنشطة فحسب، بل هي أجزاء من المعرفة التي تعتمد على بنيّة كلّيّة فهناك المستوى التركيبي والصوتي والدّلالي ...الخ توازيها في المخ عمليات عرفنية كبرى من الإنتاج والتحليل"[24] واللّغة بنيّة كلّيّة مركبة من مجموعة القوالب والأنماط اللّسانيّة والعمليّات العرفانيّة الّتي تسعى لتفسير تلك القوالب اللّغويّة الجاهزة "وهكذا اللّغة فبمجرد التعرض باراميتراتها وأنساقها في مختلف اللّغات واللّهجات سماعا يبدأ الدماغ في تنشيط مراكز الاستقبال والنمو والمعالجة، فالمسألة إذن هي استعداد عقلي في أدمغة البشر، بواسطة مجموعة من البرامج البيوكيميائيّة الجينيّة العصبيّة ضمن أبنيّة الدّماغ تبدأ العمليات وتتطوّر ضمن البيئة فالعاملان مهمان للنماء: الأبنيّة المجهزة والبيئة وما قضيّة تعلم القواعد إلاّ مجرّد شكل من أشكال التدعيم الذّهني وتثبيت النّسق الخاصّ بكلّ لغة بدليل أنّك يمكنك بسهولة شديدة التحدّث بأيّ لغة دون تعلم قواعدها في شكلها المدرسي، لأنّ بنيّة اللّغة الطبيعيّة في أدمغة البشر واحدة ولأنّ لبنات المفاهيم عن العالم الواقعي واحدة ومركزيّة الاختلاف فقط في الاستعارات وأنظمة المزج التّصوريّ لدى مختلف الأجناس"[25] والخطابات الّتي تسعى نظريّة المزج التّصوّريّ أو المفهومي كنظريّة عرفنية ضمن نظريات اللّسانيّات العرفانيّة لتفسير أطر المعنى والدّلالة في الذّهن وقوام هذه النّظريّة دراسة مختلف استعمالات اللّغة عرفنية إذ تعمد على تفسير الأبنيّة الخطابيّة من محتواها اللفظي والّتي تمثلها تلك العمليّات التّصوّريّة للّغة "وقوام برنامج الأنحاء العرفنيّة على تناول اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيتان: فهي نشاط عرفني في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفنيّة ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلالية العرفنيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفنيّة من قبيل الإدراك والتذكر والتّصوّير والعمل والتجسدن وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك"[26] وكثيرا ما فصل الدارسون اللّغة عن أنماطها العرفانيّة وملكاتها التّواصليّة كالتذكّر والإدراك والتّصوّر والتمثل والتمثيل والتخيل وكلّها ملكات عرفنية متصلة باللّغة الإنسانيّة فهي كالقواعد التركيبيّة للّغة "فإن التركيب الذّهني للّغةعند الجميع أعني طريقة التكوين، لأنّ مركّب القواعد موجود في كلّ الأدمغة وفق بنية الدّماغ الواحدة لدينا جميعا"[27].

2- نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة (الفضاءات الذّهنيّة):

2-1- الفضاء في اللّغة الطبيعيّة (L'espace dans langue):

تُمثّل الأفضيّة الذّهنيّة أو الفضاءات الذّهنيّة أسُسًا من الأبنيّةاللّغويّة، وليست الأبنيّة اللّغويّة إلاّ جُزءًا من الفضاءات الذّهنيّة، من حيث هي تشكلات ذهنيّة ترتسِم مَعالِمُها في الأبنيّة اللّغويّة؛ ومن حيث يملك الذّهن مَلكات لغويّة ذهنيّة مُتعدّدة ومُتفرعة ومُتنوعة أَخذت نموذجها المتطوّر والأحدث من نظريّة الاستعارات التّصوّريّة وكلّها ضمن ما يعرف بتيار اللّسانيّات العرفنيّة وبصفة خاصّة نظريات اللّسانيّات العرفانيّة أو نظريّة الدّلالات العرفانيّة والدّلالة العرفانيّة "لقد عرفت الدراسات والبحوث المتعلقة بدلالة العبارات الفضائيّة (فوق، تحت، يمين، أمام، خلف...) تطوراً ملحوظا في أروبا وأمريكا، بل إنّ هذه الدراسات شكلت أحد المباحث الأساسيّة والمتميزة في الدّلالة المعرفيّة الحديثة، وفي هذا الإطار أثيرت مجموعة من القضايا والتساؤلات المُهّمة، سواء ما ارتبط منها بمفهومي المعنى والدّلالة بصفة عامّة، أو ما تعلق بدلالة الحروف والظّروف المكانيّة والعبارات الفضائيّة، ويهمّنا من هذه الأسئلة ما يتعلق بالفضاء في اللّغة الطبيعيّة (L'espace dans langue) والإمكانيات الّتي تتوفر عليها اللّغات البشرية للتعبير عن الفضاء وتحديد مواقع الأشياء ومواقع المتكلمين، وتعيين الخصائص الفضائيّة للأشياء المراد موقعتها؛ أي تحديد موقعها ومكانها، وبعبارة أخرى: كلّ التساؤلات الّتي يكون موضوعها علاقة الإنسان بالفضاء."[28] والفضاء في اللّغة هو كلّ الأحوال المحيطة بالألفاظ من الأنساق اللّغويّة وملابسات الكلام والمقام فاللبنيّة اللّغويّة دلالتها ولمقام التلفظ دلالات أخرى تحيل عليها عناصر الفضاء اللّغويّ. ويرى فوكونياي" أنّ الكثير من الأبنيّة تنطوي على إشكالات في الفهم والتأويل وتكون فيها الدّلالة محدثة للّبس ويكون التحليل الشّكلي التركيبيّ غير قادر على تفسيرها واعتبر أنّه بالإمكان إعادة قراءة تلك الأبنيّة وتفسيرها بواسطة فضاءات ذهنيّة تنتظم وتترابط في ضوء قرائن تركيبيّة ومقاميّة وثقافيّة واجتماعيّة تمكن المخاطب من الاهتداء إلى الدّلالة المقصودة والى المحال عليه داخل تلك الأبنيّة"[29] وكثيرا ما تلتحم الدّالات التّداوليّة واللّسانيّة بالقرائن التّركيبيّة المقاميّة والاجتماعيّة والثقافيّة الّتي يهتدي من خلالها المتلقّي لفحوى مضمون الخطاب المقصود من إرادة المتكلّم وهو الملفوظ الإرادي وهو المقصود الإرادي الّذي يعنيه المتكلّم والّذي يتم استيعابه من المتلقّي.

ونظريّة الفضاءات الذّهنيّة تقوم على دحض مسلمة منطقيّة يعتقد أصحابها أنّ الدّلالة اللّغويّة يمكن الإحاطة بها باعتماد أدوات من المنطق الشّكلي إذ يرى فوكونياي أنّها أدوات قاصرة في تفسير الكثير من الظواهر اللّغويّة، ويسعى إلى إقامة بديل نظري لها يقوم على طاقة الذّهن البشري عوضا عن طاقة الحسابات الرياضيّة الّتي يستعملها المناطقة[30] وحيث تشتغل نظريّة الفضاءات الذّهنيّة بالدّلالة الفضائيّة والدّلالة الفضائيّة تستمد معطيات اشتغالها بدءا من الحروف ودلالتها الفضائيّة ثم الألفاظ والكلمات ودلالتها الفضائيّة إلى مستوى أعلى وأعمق من الحروف والألفاظ وهو مستوى العبارات والجمل ودلالتها الفضائيّة، وهذا ما يمكن تحديده في إطار نظريّة الفضاءات الذّهنيّة بالفضاء في اللّغة الطبيعيّة وكما يشمل الفضاء الإطار اللّغويّ والإطار غير اللّغويّ؛ أي ما يتحدّد من خلال مواقع الأشياء ومواقع المتكلمين (المقام والظروف وملابسات الكلام).

2-2-الفضاء الذّهني Mental space:

الفضاء الذّهني هو تلك العلاقة القائمة بين الكلمات والبناءات الذّهنيّة constructions mentalesالّتي ينشئها المتكلّم والمخاطب، والّتي تكشف عن كيفيّات تكوّن الأبنيّة في الأذهان؟ وكيف يقع الترابط بين هذه الأبنيّة والكلمات؟

وكيف نفسّر خطابات وعبارات من قبيل (الحراج حطاب) و(الطبيب جزار)؟[31]وهي علاقة الذّهن ببناء المعنى، وعلاقة الذّهن والبناء اللّغويّ "فالفضاء الذّهنيّ جملة المعلومات المتعلّقة بالمعتقدات والأشياء ويتكوّن من عناصر وليس من الضروري أن تكون لتلك العناصر مراجع (في المعنى السّوسيري) وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهنيّ حالا من حال الأشياء في الكون (مطابقة كلّيّة أو جزئيّة = فيكون التطابق بين عنصر من عناصره وشيء في الواقع ويكون التطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشّيء الواقعيّة ويمكن أن يمثّل الفضاء الذّهني عالما متخيّلا بوجه من الوجوه فليس من الضروري أن يكون خاضعا للتقييم العقلي فيعتبر مستقيما أو غير منطقي.

تنشأ الأفضيّة الذّهنيّة نشوء فوريا أثناء الكلام وتتعدّد وتتناسل كلّ ذلك بوجه آن-قوليّ (فوري-آني) فالفضاء الذّهني بنيّة عرفنيّة تبنى فيها المجالات وتنتظم وترابط بأنواع من الترابطات ما بين المجالات."[32]والفضاء الذّهني :" عبارة عن وضعيّة معقدة إلى حدّ ما تشتمل على مجموعة من العناصر وعلى علاقات معينة بين تلك العناصر...نذكر المعتقدات والحالات الشعوريّة ورغبات المتكلّم وتصوّره للواقع كما يمكننا أن نشير إلى بعض الفضاءات الّتي يمكنها أن تكون بديلة لفضاء الواقع مثل الوضعيّة الّتي تعرضها علينا رواية أو مسرحيّة أو شريط سينيمائيّ ما"[33]وليس الفضاء الذّهني علاقة قائمة بين الكلمات والبناءات الذّهنيّة فقط بل هو قائم على الواقع وبناءاتنا الذّهنيّة، وكما هي بناءاتنا الذّهنيّة عند قراءة روايّة ما، وعند مشاهدة وسماع مسرحيّة ما أو قصيدة شعريّة أو شريط سينيمائي أو خطاب سياسي فكثيرا ما نستمع إلى خطاب سياسي فتتحدّد علاقتنا بالبناءات الذّهنيّة بذلك الخطاب "وينبني الفضاء الذّهنيّ أثناء عملية التلفظ وتؤسسه روابط تمثل لعمليّة الاشتغال التّداوليّ العرفانيّ" [34]ويمكن "أن نذكر من هذه الأسئلة ما يلي: كيف نصف الفضاء اللّغويّ؟ وكيف نحدّد مكان شيء معين وموقعه؟ وكيف نصف الخصائص الفضائيّة للأشياء المقصودة (شكلها وامتدادها في الفضاء)؟

وما هي المناهج المثلى لدراسة الفضاء اللّغويّ؟ هل نعتمد المناهج الهندسيّة والرياضيّة أم نعتمد المناهج اللّسانيّة المعرفيّة الوظيفيّة؟ وهل الفضاء اللّغويّ مماثل للفضاء الهندسي؟ ولماذا نستعمل ببساطة، وبشكل عادي ومألوف عبارة مثل (الحصاة أمام المنزل) ونقبل (أو لا نقبل) بصعوبة بالغة من قبيل: (المنزل خلف الحصاة)؟... إلخ."[35]

وتبسط نظريّة الفضاءات اللّغويّة النظر في الأبعاد والخصائص الفضائيّة اللّغويّة وغير اللّغويّة المفارقات للتفسيرات اللّغويّة وكلّ ذلك ما يتعلق بأبعاد الهندسة والرياضيات والمنطق والفيزياء والفلسفة وكلّها يمكن اعتبارها بأنّها" دراسة العلاقة بين اللّغة البشريّة والذّهن والتجربة بما فيها الاجتماعي والمادّي البيئي"[36]وترتبط نظريّة الفضاءات اللّغويّة الذّهنيّة ارتباطا وثيقا وبشكل مباشر بالعلوم المعرفيّة "ولهذا فإنّ العلوم كلّها عالجت موضوع الفضاء، فقد درس في الهندسة والرياضيات والمنطق والفيزياء والفلسفة واللّسانيّات المعرفيّة وغيرها من المعارف والعلوم، وبالنسبة للّغة فإنّنا نجد الفضاء في الحروف والظّروف والأدوات والأفعال والصّفات والاستعارات وبعبارة أخرى، نجده في جل الظواهر اللّغويّة بشكل أو بآخر."[37]

وتَعْرِفُ نظريّة الفضاءات الذّهنيّة نموذجا متطورا آخر يُفضي على نظريّة الفضاء تقدما واضحا في دراسة اللّغة وعلاقتها بالهندسة والرياضيات والفيزياء وغيرها من العلوم الدقيقة وهكذا سعى نخبة من العلماء إلى تفسير الفضاء اللّغويّ في إطار مفاهيم نظريّة ومنهجية مستمدة من الحقول العلميّة والمعرفيّة واللّغويّة؛ حيث يحصل الرّبط بين الأفضيّة عن طريق روابط تساعد على استمرار الإحالة على نمط واحد مستقيم وتضمن خاصّة توزع المعلومات بشكل يُحقّق الفهم فهي تقيم الاتصال في العملية التخاطبيّة وتحافظ على تنامي البنيات التّصوّريّة وانسجامها في

الذّهن كما تسمح طبيعتها الديناميّة بالتوافق ومختلف الخطابات بالتلاؤم بين ما يقدّمه المتكلّم وبين ما يتلقاه ويفهمه السّامع"[38]وتكمل نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة عناصر الضعف والنقص في المقاربة التّداوليّة باعتبارها نموذجا متطوّرا للتّداوليّة العرفانيّة[39] ومن حيث طبيعة الاستعمال اللّغويّ وبناءه الذّهنيّ للكلمات والحروف والأدوات والأفعال والأسماء والصفات والأحوال وغيرها من القرائن اللّغويّة اللّفظيّة والمعنويّة وغير اللّغويّة.

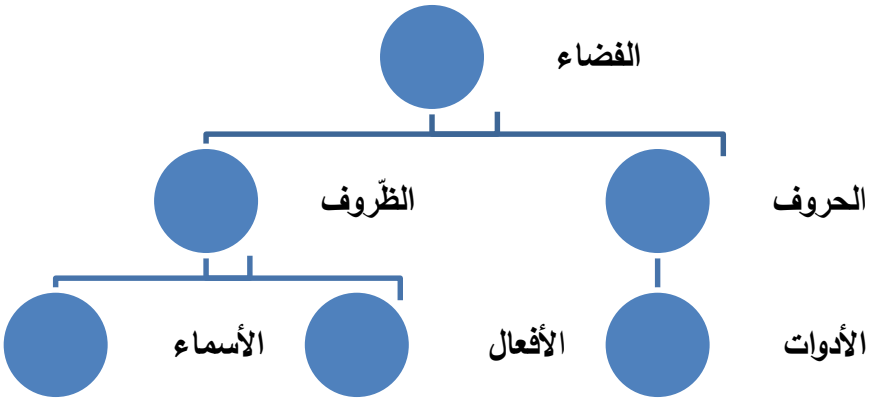

3-2- نظريّة الأفضية الذّهنيّة ونموذج تطوُّر نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة:

ينبثق نموذج نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة المُتطوِّرَة عند كلود فاندلواز C. Vandeloiseمن داخل نموذج نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة الأصليّة الّتي كان رائدها العالم الفرنسي جيل فوكونياي G.Fauconnier؛ حيث يمكننا الحديث عن نموذج الدراسة الأولى لنظريّة الأفضيّة الذّهنيّة ضمن ما يمكن وصفه بالتفسير اللّغويّ المحض للفضاءات الذّهنيّة، وبعد ردح من الزّمن بدا من الواضح تطوّر نموذج الأفضيّة الذّهنيّة بدراسة الفضاء في اللّغة بالطريقة الّتي يدرس بها الفضاء في الهندسة والرياضيّات والفيزياء "ويمكن أن نشير هنا إلى أعمال كوبر S.G. Cooper 1968 وليتش G. Leech 1969 وبينت 1975 وكلارك H.H.Clark 1973 وهاوكينس وغيرهم ممن يتبنى هذا الموقف فهؤلاء يدرسون الفضاء في اللّغة الّتي يدرس لها الفضاء في الهندسة أو الرياضيات أو الفيزياء وغيرها من العلوم الدقيقة ويعتمدون نفس المفاهيم والأدوات العلميّة والإجرائيّة المعتمدة في تلك الحقول العلميّة والمعرفيّة."[40] فقد سعى هؤلاء أساطين اللّسانيّات العرفانيّة بصفة عامّة وبصفة خاصّ نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، وتعكس البنيّة اللّغويّة بكلّ دقّة مظاهر العرفنة البشرية وأحسن حجّة عند فوكونياي تتمثل في قدراتنا على تسمية الأشياء باعتماد ترابطات عرفنيّة متصلّة بالتجربة البشريّة تمكن السّامع من الاهتداء الى المرجع المقصود"[41]وقدّم كلّ هؤلاء أساطين العلوم العرفانيّة الّذين اشتغلوا على تطوير أفكار وآراء جيل فوكونياي G.Fauconnierفي نموذج نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، واقترحوا في هذا الإطار إضافة أدوات إجرائيّة لتحليل الفضاء؛ وهي أداوت فضائيّة محضة "أي الّتي تتوسل بأدوات فضائيّة محضة مثل مفاهيم المسافة (La distance) والاتجاه (La direction) والبعد (La dimension)... إلخ."[42]يشتغل نموذج نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة المتطوّر على المفاهيم الهندسيّة المقترحة ضمن الهندسة والرياضيات والفيزياء واللّسانيّات إذ تشتغل "البنيّة العرفانيّة للّغة الإنسانيّة تقوم على ما يسمّى بالمزج التّصوّريّ بين الأشياء العينيّة في العالم من خلال الاستعارات والمجازات والذكر والحذف... إلخ، وعندما تدخل كل هذه المعرفة المتاحة عن الوجود عرفانيّا إلى الدّماغ تمتزج بالمخزون العرفانيّ والوجداني العامّ، فالفهم اللّغويّ للعالم –إذن-متفاعل مع مخزون هائل من المعرفة البشريّة

الّتي تشمل السلوك الإنساني والعلاقات والخبرات... إلخ؛ بحيث يكون لدينا تبادل عدد لا نهائي من الأفكار من خلال استخدام عدّد أو مجموعة محدودة من الرّموز والأدوات الذّهنيّة"[43]الّتي حاولت نظريّة المزج التّصوّريّ تأسيس فكر إضافي لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة القائمة على علاقة الكلمات بالبناءات الذّهنيّة فهي تسعى لتفسير نظريّة توليد تصوّرات ذهنيّة جديدة وهي عمليان ذهنيّة تقوم على نشوء مفاهيم جديدة مولّدة من نشوء بناءات ذهنيّة؛ حيث "يكون بناء الأفضية الذّهنيّة في جميع الأنشطة الرّمزية لعل أبرزها ممثل لها هو النشاط اللّغويّ، فالمتكلّم إنّما ينشئ ما لا نهاية له من الأفضيّة الذّهنيّة في جميع الأقوال الّتي ينجزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشّعر والروايّة والمسرح ونشرات الأخبار"[44]

وتبقى هذه الإضافة لنموذج نظريّة الفضاءات الذّهنيّة غير كافيّة لتفكيك وتفسير عناصر وخصائص الفضاءات اللّغويّة بكلّ مُعطياتها وبكلّ المفاهيم المحيطة بها "والّتي تكتفي باستعمال المفاهيم المشار إليها آنفا (المسافة، الاتجاه، البعد) تبقى قاصرة وغير كافيّة، ولا تقدم لنا معونة كبرى في إبراز خصائص الفضاء اللّغويّ، ولا في تحديد دلالة العبارات الفضائيّة والظروف المكانيّة، ولا تبين لنا ما الّذي يمكن أن نستفيده من دراسة استعمالاتها بخصوص الطريق الّتي تبنين (structurer) بها الفضاء."[45] وأما ارتباط النموذج المتطوّر لنظريّة الأفضيّة الذّهنيّة بإطار الأدوات والآليات العلميّة أمر عقّد من وظيفة تحليل والتفسير اللّغويّ المعتمد في النموذج الأوّل لنظريّة الأفضيّة الذّهنيّة الّتي تسعى بشكل مباشر لتفسير خصائص الفضاء اللّغويّ، وحيث تمثّل الدالات التّداوليّة أو الوظائف التّداوليّة Fonctions pragmatique بديلا عن الوظائف النّحويّة وظهور المعاني المتعدّدة والاحتماليّة Virtuels بديلا عن المعنى الأوحد فالبنيّة اللّغويّة المنجزة الواحدة تحمل معنى أوّل وقد تنفتح على أكثر من معنى يقصده المتكلّم ويفهمه المخاطب اعتمادا على تلك المعرفة المشتركة بينهما بقواعد الإعراب وبقواعد بناء المعنى.

بنيّة منجزة ⟸ معنى أوّل ⟹ معنى ثاني أو معنى ثالث... إلخ

(يفهم على وجه الحقيقة) (يُفكّر فيه المتكلّم ويقصده)[46]

وممّا انبثق من نموذج نظريّة الأفضيّة لجيل فوكونياي كنموذج متطوّر "ما قدمه اللّساني البلجيكي كلود فاندلواز (C. Vandeloise) في كتابه (الفضاء في اللّغة الفرنسيّة) نموذجا جيدا، لهذا المقاربة اللّسانيّة المعرفيّة الوظيفيّة وكتابه هذا هو أطروحته للدّكتوراه الّتي أشرف عليها اللّسانيّ الفرنسي المعروف جيل فوكونياي (G.Fauconnier) أحد رواد اللّسانيّات المعرفيّة، وصاحب نظريّة الفضاءات الذّهنيّة وكلود فاندلواز هذا لساني وباحث في الرياضيات والهندسة، وقد استفاد من تخصصه في هذين العلمين: اللّسانيّات والرياضيّات واستفاد أيضا من أعمال رواد اللّسانيّات المعرفيّة بشكل عامّ، ومن الّذين تخصّصوا في دراسة الفضاء اللّغويّ بشكل خاصّ، فاهتدى إلى اقتراح نموذج لساني معرفي لدراسة الفضاء في اللّغات الطبيعيّة؛ وهو نموذج يعطي الأولويّة للمفاهيم اللّسانيّة الوظيفيّة الّتي أشرنا إليها من قبل، أما المفاهيم الهندسيّة والمنطقيّة فلا يتم إهمالها بتاتا، ولكنها مفاهيم ثانويّة أو تأتي في المرتبة الثّانيّة (ونقصد طبعا مفاهيم المسافة والاتجاه والبعد والتضمن)."[47] وأما عن هذا النموذج العرفاني الخاصّ بنظريّة الفضاءات الذّهنيّة يقدّم مقاربات ازدواجيّة تجمع بين اللّغة والمفاهيم الهندسيّة الّتي تعتمد المسافة والاتجاه والبعد والتضمن معايير التحليل اللّسانيّ "وتندرج نظريّة الفضاءات الذّهنيّة عند جيل فوكونياي على أدوات لسانيّة خالصة قاصرة على الوصف اللّغويّ تسعى لتفسير كثير من الظواهر اللّغويّة تقوم على طاقة الذّهن البشريّ عوضا عن علاقتها بالهندسة والرياضيات والمنطق والفيزياء والفلسفة قريبة من الوحدات اللّغويّة المكونة للتفسير

اللّسانيّ باعتباره تصوّر ذهني ينتظم ضمن إطار الانتظام المفهومي الكامن في انبناء معنى الخطاب"[48] وقدم كلود فاندلواز مقاربة عرفنية تقوم على "**النموذج الوظيفي اللّسانيّ المعرفي** الّذي اقترحه فاندلواز وأهميته وبالنسبة للمقاربة الهندسيّة للفضاء اللّغويّ فإنّنا نشير إلى أنّ الأمر لا يتعلق بهندسة معينة ومحدّدة من قبل الهندسة الإقليديّة، أو الهندسة الإسقاطيّة أو التحليليّة أو غيرها من النظريات والنماذج الهندسيّة، وإنّما نقصد بالمقاربة الهندسيّة كلّ وصف للفضاء يعتمد المفاهيم الهندسيّة والأدوات والوسائل الفضائيّة المحضة، مثل مفاهيم المسافة، والاتجاه، والبعد، وغيرها من المفاهيم."[49]

2-4-المفاهيم الهندسيّة لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة:

ويقدّم اللّساني البلجيكي كلود فاندلواز أربعة مفاهيم هندسيّة لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة وهي: المسافة والاتّجاه، والتضمّن، والبعد... إلخ.

2-4-1-البعد La dimension: مفهوم هندسي لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة يقترح تفسيرا لسانيا للبعد اللّغويّ "وبمفهوم البعد (La dimension) والمقصود هنا تبين أبعاد الموضوع الحرفي ونميز-تبعا لهذا-بين الحرف ذي البعد الواحد (unidimensionnel) مثل الحرف (at) في اللّغة الإنجليزيّة والحرف (à) في اللّغة الفرنسيّة، وبين الحرف الثنائي مثل (على/فوق) في العربيّة و(on) في الإنجليزيّة، و(sur) في الفرنسيّة، والحرف الثّلاثي الّذي له ثلاثة أبعاد (الطول والعرض والارتفاع)."[50]وتكشف هذه المفاهيم الهندسيّة في نموذج نظريّة الفضاءات الذّهنيّة تنوّع وتعدّد الوظائف اللّسانيّة للأصوات والحروف من الوظيفة الأولى أحاديّة البعد إلى وظيفة أخرى وهي ثنائيّة البعد، ثم إلى وظيفة ثالثة ثلاثيّة البعد. ويحدّد جيل فوكونياي مجموعة من الأفضيّة اللّغويّة الّتي يؤسسّها الفضاء الأساس فهي شبكة من الفضاءات اللّغويّة تحدّدها الفضاءات الذّهنيّة من قبيل الزّمان والمكان والحدث والأحداث والجهات وبناة الأفضيّة وأسماء الإشارة والأسماء والأفعال والأدوات والحروف والظروف... إلخ وتتمظهر نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة في الشكل التّالي:

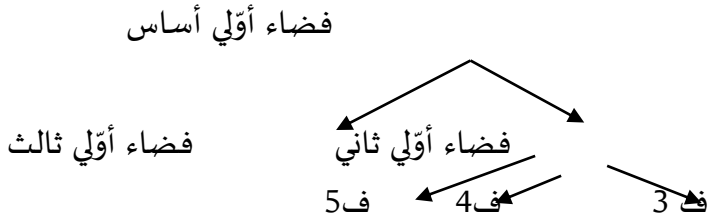

وتفسَّر تلك الروابط الذّهنيّة بين الفضاءات اللّغويّة الذّهنيّة الوظيفة التّداوليّة فهي تلك العلاقة الّتي تُعيَّنُ انطلاقا من عنصر قادح في فضاء قرين عنصرا هدفا الّتي تحدّدها الأدوات التّداوليّة واللّسانيّة للّغة والّتي يمكن ضبطها من خلال الدّالات التّداوليّة أو الوظيفة التّداوليّة الّتي تسمح بالمرور من فضاء ذهني أوّلي أساس إلى فضاءات ذهنيّة أخرى مستنبطة من الفضاء الأوّلي الأساس عن طريق الإضمار الإحالي بين الفضاءات، والإضمار الإحالي هو تلك الدالات الإحاليّة الّتي تُبَنْيَنُ في فضاءات ذهنيّة جديدة مولّدة من الفضاء الأساس، وهو التنقل من فضاء إلى فضاءات أخرى"[51].

2-4-2-المسافة La distance: تمثّل المسافة مفهوم هندسي لنظريّة الفضاءات الهندسيّة "وهو مفهوم أساسي بالنسبة لمن يريد أن يدرس الفضاء، إنّه مفهوم المسافة (La distance) وقبل ذلك لا بدّ من الحديث عن مسألة

الموقعة الفضائيّة (localisation spatiale) والعلاقة الفضائيّة وعنصري هذه العلاقة وهما الهدف والمصدر. والهدف (la cible) هو الشّيء الّذي نريد تحديد موقعه في الفضاء والعنصر الثّاني هو المصدر (le site) وهو الشّيء الّذي نعتمد عليه لتحديد موقع الهدف، وعادة ما يكون كبيرا ومدركا وثابتا ومعروفا."[52] بالقياس إلى الهدف الّذي يكون صغيرا ومتحركا وغير مدركا والعلاقة الفضائيّة هي العلاقة القائمة بين الهدف والمصدر ولا بدّ منها في كلّ موقعة فضائيّة، ومعلوم أن الموقعات الفضائيّة الهندسيّة، وتحديد المسافة في الرياضيّات والهندسة والطبولوجيا وغيرها، يكون بشكل دقيق وموضوعي ومجرّد."[53] وتبتعد نظريّة كلود فاندلواز عن نظريّة جيل فوكونياي الّتي "أساس نظريّة المزج هو الفضاء الذّهنيّ وهو تلك البنيّة التمثيليّة الّتي يبنيها الأشخاص أثناء الحديث أو التفكير عن المدركات والمتخيلات وعن جميع الأوضاع الماضية أو المعيشة أو الآتية. تنشئ ملكة المزج المفهومي مفاهيم وصوّرا تتحوّل إلى أشياء متجذرة في البنية المفهوميّة عند البشر وفي النّحو (الملكة اللّغويّة) كذلك وهي تشتغل على ما سبق أن تجذّر منها بفعلها لتتخذ منه دخلا تحدث منه مفاهيم أو أفضية جديدة "[54]

وبهذا يقترح مفهوم المسافة تأطيرا عرفنيا جديدا في نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة شبيها بما هو معروف عند جيل فوكونياي إذ يولد الفضاء المصدر فضاءات أخرى وهي الهدف ويتولّد بمفهوم آخر من الفضاء الابن بناة الأفضيّة الأخرى[55] والعمل المضاف في الأنموذج المُتطوّر لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة هو الموقعة الفضائيّة والعلاقة الفضائيّة "والعلاقة الفضائيّة تتكوّن من هذين العنصرين: الهدف والمصدر، ولا بدّ منهما في كلّ موقعة فضائيّة، ويمكن التمثيل لهذا بالرسم التّالي:[56]

أ ——————————— ب

والعلاقة الفضائيّة المركّبة من العنصرين الأساسيين هما المصدر والهدف توضحهما عمليّة التّعيين عند جيل فوكونياي "إذا كان العنصران (في المعنى الأعمّ) (أ) و(ب) مترابطين من خلال دالة تداوليّة ر(ب)=ر(أ)) فإنّ وصف (أ) يمكن أن يفيد في تعيين موافقة (ب) وفي مصطلحيّة فوكونياي فإنّ (أ) هو قادح الإحالة و(ب) هو هدف الإحالة و(ر) هو الرابط، وهذه عمليّة المرور من فضاء ذهني إلى فضاء ذهني آخر تتم من خلال العمليات الذّهنيّة المضمرة في الخطاب اللّسانيّ[57].

"ر" رابط

(أ) ——————————— (ب)

قادح هدف

2-4-3-الاتّجاه la direction: مفهوم هندسي لنظريّة الفضاءات الذّهنيّة الجديدة يمثلُ "المتكلّم مصدر الإحالة في عمليّة الموقعة الفضائيّة...، وهو الوضع الجسدي للمتكلّم، وهو إدراكه وخط نظره وهذا له صلة وثيقة بمسألة تحديد الاتّجاه... عندما ندرس الاتّجاه في الهندسة والرياضيّات فإنّ الأمر يحدّد بشكل موضوعي ومجرّد، فنحن عندما نستعمل العبارات الفضائيّة: (أمام، خلف، قدام، وراء...) لتحديد الاتّجاه في الفضاء؛ فإنّ هذا يتم بشكل مجرّد فإذا قلنا إنّ (أ) أمام (ب) فمعنى هذا أن (ب) يوجد خلف (أ)."[58] ولكن في اللّغة العربيّة قد تأخذ الحروف والأسماء

والأفعال معاني الأضداد ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر (وراء) كما وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)[59] "

فالمفسّرون كلّهم كانوا يقولون إنّ (وراءهم) بمعنى (أمامهم) ولكنهم لا يبينون السبب: لماذا استعمل القرآن الكريم كلمة (وراء) في الآية ولم يستعمل كلمة (أمام)، ففسرت هذه الآية على الشكل التّالي: لما كان الملك أمامهم وكانوا لا يدركونه، عومل الّذي في الأمام معاملة الّذي في الوراء، بجامع عدم الإدراك، وبعبارة أخرى فإذا كان الّذي في الأمام لا يدرك فهو كالّذي في الوراء، ووجه الشبه بينهما ونقطة الاشتراك هي عدم الرؤية وعدم الإدراك، وهذا هو السّرّ في استعمل القرآن الكريم لكلمة (وراء) في هذه الآية، فهم لا يدركون الملك، ولا يعرفون أنّه أمامهم، وأنّه يأخذ كلّ سفينة غصبا، إذن فهو كالّذي في الوراء؛ لأنّ الّذي في الوراء لا يرى ولا يدرك، إذن فعدم الرؤية وعدم الإدراك، وعدم المعرفة هو الّذي سوغ استعمال كلمة (وراء) في هذا السّياق، وعدم الإدراك كعدم المعرفة."[60] وبهذا الاستعمال المتنوع في اللّغة العربيّة وبخاصّة في كلام العرب إذ اختلف النّحاة وعلماء اللّغة في أسماء الأضداد (وراءهم) تعبيرا مجازيا عن (أمَامَهُم)؛ وفي الآية (وراءهم) بمعنى (أمامهم) وقد استشهد لصحة ذلك بقول الشّاعر:

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي **** وقومي تميم والفلاة ورائي

بمعنى أمامي."[61] ويتمثل الفضاء الأساس في الآية الكريمة في السفينة (السفينة، المساكين يعملون، في، البحر، خرقها، ملك، يأخذ، كلّ، غصبا، إلخ) والسفينة إطار كامل بما يدور حولها من الأحداث وتغيرات الأحداث حولها المعلومة وغير المعلومة، وكذلك المساكين الّذين يعملون في البحر إطار مفهوميّ كامل.

وبُني الفضاء الأساس (السفينة) بمحدّد الفعل والحدث (خرقها) ومن هذا الفضاء ينشأ فضاء ابن مفهومي أولي معلوم غير غيبي هو (لتغرق أهلها) (المساكين الّذين يعملون في البحر، الصيد، البيع والشراء) وينشأ فضاء ابن مفهومي كامل جديد غير معلوم وغيبي (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) مقترن بعنصر معلوم هو (وكان وراءهم مّلك يأخذ كلّ سفينة غصبا) ويرث هذا الفضاء الابن من الفضاء الأساس عدّدا من العناصر هي نظائر لما في ذلك الفضاء الأساس يجري الترابط بينها على الحدث الفعلي الرابط بينها جميعا (الخرق) و(السفينة) و(المّلك) و(المساكين) و(البحر) وتنضاف إليها عناصر أخرى، وهذا الفضاء بدوره يبنى منه فضاء جديد (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)[62].

الهوامش والإحالات:

[1]-RoutledgeDictionnary of language and linguistics,1998,p80.

[2]-عبد الكريم جيدور، اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها، ص303

[3]-صالح غيلوس، دور التصور الذهني في تشكيل المعنى في ضوء النظرية التصورية-جاكندوف-، المجلة العربية مداد، الجلد الخامس، العدد 13، أبريل 2021، ص 162.

[4]- ينظر: صلاح الدّين يحي، اللّسانيّات العرفنية أصولها واتجاهاتها، دار نور للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2020م، ص..

[5]-HadumodBussmann,Routeldge, Dictionary of Language and linguistic, translated and edited by Gregory trauth and Kerstin kazzazi , edition published in the taykor&francis e-library, London and New York, 2006,p 197.

[6]-عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص 231.

[7]- المرجع نفسه، ص95.

[8]-لحسن عبود، اللغة والصورة (مقاربة معرفية)، مجلة علوم التربية، العدد: 55، ص81-82.

[9]- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص100.

[10]-منانة حمزة الصفاقسي، الدلالة العرفنية الإدراكية وتراجع دور التركيب الاعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، العدد2، 2015م، ص96.

[11]- صلاح الدّين يحي، نظريّة النّحو العرفانيّ مستوى الثّالوث من الأبنيّة ذات التكوّن الجيد (الدّلالة، التّركيب، المعجم)، مجلة العمدة، ص58-75.

[12]- ينظر: منانة حمزة الصفاقسي، الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب الاعراب في إنتاج الكلام وتأويله، ص96.

[13]- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص17.

[14]-عبد الكريم جيدور، اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها، مجلة العلامة، العدد5، 2017، ص301.

[15]- المرجع نفسه، ص306.

[16]- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص18.

[17] -المرجع نفسه، ص59

[18]- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص33.

[19]-عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص 233.

[20]-زينايدابوبوفا، يوسف ستيرنين، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، ط1، بغداد، 2012، ص29-32

[21]- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص234.

[22]- ينظر: المرجع نفسه، ص297.

[23]- المرجع نفسه، ص300.

[24]-عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص36.

[25] -عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة ، ص300-301

[26]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص28

[27]-عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص359.

[28]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص109-110.

[29]-لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص14.

[30]-نزيهة زكور، الأفضية الذهنية والسيميوزيس أو التأويل اللامتناهي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد3، عدد خاص، 2019، ص170 نقلا عن كتاب نظريات لسانية عرفنية، ص197.

[31]- صلاح الدّين يحي، اللّسانيّات العرفانيّة أصولها واتجاهاتها، ص266. وما بعدها.

[32]- الأزهر الزّناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، ص206.

[33]-عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، مسيكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2010، ص40.

[34]-صبرينةبوعيطة، دور الأفضية الذهنية في تحقيق انسجام الخطاب تداوليا، مجلة سرديات، العدد الرابع والعشرون، أبريل –مايو-يونيو، 2017، ص118

[35]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص109-110.

[36]-الأزهر الزّنّاد، النص والخطاب (مباحث لسانية عرفانية)، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص207

[37]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص110.

[38]- صبرينة بوعيطة، دور الأفضية الذهنية في تحقيق انسجام الخطاب تداوليا، ص118-119.

[39]- صلاح الدّين يحي، التّداوليّة العرفانيّة قبل التّداوليّة، مدخل إلى التأسيس العرفاني، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، ص57-78.

[40]- أبو بكر العزاوي، اللّغة العربية والدّلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق،ص111.

[41]- الأزهر الزّنّاد، نظريات لسانية عرفانية، ص205

[42]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق،ص111.

[43]-عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص21.

[44]-الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص206.

[45]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق،ص111.

[46]- لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص12-13.

[47]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص112.

[48]- صلاح الدّين يحي، اللّسانيّات العرفانيّة أصولها واتجاهاتها، ص277-280.

[49]- أبو بكر العزاوي، تفضيّة الزّمن نحو تطوير وتوسيع لنموذج فاندلواز 1986، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانيّة، المجلد 28، العدّد 8، المغرب 2020، ص149.

[50]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص112-113.

[51]- ينظر: صلاح الدّين يحي، اللّسانيّات العرفانيّة أصولها واتجاهاتها، ص267-270.

[52]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص114.

[53]- أبو بكر العزاوي، تفضيّة الزّمن نحو تطوير وتوسيع لنموذج فاندلواز 1986، ص152.

[54]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص223.

[55]- ينظر: صلاح الدين يحي، اللّسانيّات العرفانيّة أصولها واتجاهاتها، دار للنشر والتوزيع، 2020م، ص261-286.

[56]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص114.

[57]- صلاح الدّين يحي، اللّسانيّات العرفانيّة أصولها واتجاهاتها، ص267-270.

[58]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق،ص123-124.

[59]- سورة الكهف، الآية 79.

[60]- أبو بكر العزاوي، اللغة العربية والدلالة المعرفية الفضاء في اللغة نموذجا، ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق ،ص125.

[61]- القرآن الكريم تفسير الطبري-تفسير سورة الكهف الآية 79- على الموقع: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura18-aya79.html

[62]- سورة الكهف، الآية 68.